ملف محافظة ذي قار

-القسم الثاني-

مدينة تقع على نهر الفرات ولكنها تشرب من ماء دجلة!

أحدث محطة تصفية مياه فيها يعود تأريخها إلى عام ١٩٥٨ عندما كانت تسمى لواء المنتفك

الناصرية / تحقيق وتصوير
مفيد الصافي

توقف المدير الشاب قرب حوض الترسيب الدائري في مشروع إسالة الناصرية ،بينما كان الماء الغريني ينهمر من أنبوب بقطر نصف متر، انتشر الصدأ على سطحه الخارجي بشكل واضح ليستقر في أحواض الترسيب الداكنة. تنقل السيد كمال داخل البناية الصغيرة القديمة لمشروع ماء الناصرية وهو يشير إلى وظيفة كل موقع فيه ، وحين وصل إلى لوحة نحاسية كتب عليها لواء المنتفك عام ١٩٥٨ - الاسم السابق لمحافظة ذي قار- اكد قائلا" كل ما تراه الان مصنوع في عام ثمانية وخمسين ورغم الزيادة الكبيرة في عدد السكان الا ان الانتاج بقي كما هو عليه" وأضاف "ان مرحلة التصفية بالشب لا يمكن ضبطها لان حركة الماء المنتج تجري بسرعة والتصفية تحتاج إلى وقت" لذا هم في حالتين اما ان يعطوا كميات من الماء على حساب النوعية وأما نوعية على حساب الكمية!

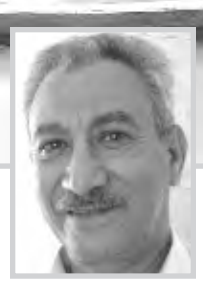

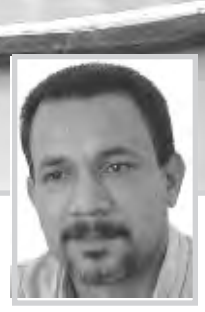

اهمال قديم

" نعم ان مدينة الناصرية تقع على نهر الفرات ولكنها تشرب الماء من دجلة" هذا ما أكده السيد كمال سالم فيصل مدير المشروع مضيفا ان نهر الفرات هنا لا يصلح للشرب، فهو يخترق الأرض المالحة في محافظة السماوة قبل ان يصل إلينا. وكيف يشطر الناصرية إلى نصفين، يطلق عليهما جهة الشامية وجهة الجزيرة التي تحصل على الماء الخام من المشروع الرئيس الموحد في قضاء الشطرة، وهذا المشروع يخدم جهة الشامية ويأخذ حصته من الماء الخام من محطة شط الكسر، التي انشئت من نهر سابق افتتح في عام ٢٠٠٠ بعد ان كان يحصل على الماء الخام من الفرات فكان الماء يصل إلى المواطنين وفيه نسبة عالية من الملوحة، ولكن بعد انشاء محطة شط الكسر بخط طوله ثمانية ونصف كيلو متر اصبح انتاج الماء حلوا. وبدلا من محاولة تغيير مسار الفرات للحد من معاناة المواطنين، قام النظام السابق بشق نهر اخر لتجفيف الاهوار وسحب المياه منها.

عجز سابق

أشار السيد كمال إلى ان ذي قار تعاني من عجز كبير في كمية المياه الصالحة للشرب اذ لم يفكر النظام السابق بفتح اية مشاريع جديدة تعادل التوسع السكاني الكبير الذي حدث فيها منذ عام ١٩٥٨،وبعد سقوط النظام تم تبديل بعض اجزاء الشبكة ولكن طاقة المشروع بقيت كما هي عليه من دون تغيير. المشروع الذي يديره طاقم بعدد اصابع اليد، يعمل بقدرة تصل إلى نحو ٣٥٠ متراً مكعباً في الساعة، طوال أربع وعشرين ساعة مع وجود المجمعات الفرنسية التي انشئت في عام ٢٠٠٠ والتي تساعد في تصفية الماء وكذلك المشروع الصناعي وهو مشروع يضخ الماء إلى معمل القابلوات الكهربائية وهم يحصلون على حصة منه مقابل ثمن يمنح إلى وزارة الصناعة. واكد ان الفلترات (المصفيات) السابقة تم استبدالها بعد سقوط النظام وهي من أقدم انواع الفلاتر،وانها اعطت (نوعية) أفضل ولكن بقيت الكمية كما هي، كما انشئت محطة تصفية جديدة تسمى محطة (الحسين) توقف العمل فيها لبعض الوقت لأسباب إدارية، وفي محاولة للحد من تاثير التجاوزات الكبيرة على الخط الناقل، قاموا بوضع طاقم (مضخة مع محرك) يزود المشروع بطاقة ٦٠٠ متر مكعب في الساعة قال السيد كمال " اجل ان هذا أمر غير صحيح ولكن ماذا نفعل مع تجاوزات المواطنين وأصحاب معامل البلوك "

الماء العكر

المكان لا يوحي الا بطول الفترة الزمنية التي مرت عليه و الإهمال الذي تعرض له.نظر المدير إلى الماء العكر الذي يصل إلى الاحواض واكد ان الماء الذي يصل من نهر (الوفاء) يعاني نسبة (عكورة) عالية أي ان نسبة الطين فيه مرتفعة. وأشار إلى أن المشاريع تعمل بأقصى طاقة لها لتسد من حاجة المواطن واعترف ان هذا يجري على حساب نوعية الماء المقدم والذي لا يملك نقاوة عالية وان المهم لديهم هو ان لا يحدث تجاوز على عملية التعقيم، واكد ان من حق المدير وقف المشروع اذا ما وجد ان هناك خللاً في التعقيم لأن هذا يتعلق بصحة المواطن.ونفى عن نفسه تهمة ان يكون الماء المنتج هو احد أسباب الإصابة في الإسهال المرتفعة نسبيا في محافظة ذي قار، قائلا " ليس شرطا ان يكون الاسهال من الماء ربما يكون احد أسبابه ولكن ليس هو السبب الوحيد!

حادثة القصف

تحدث المدير كمال كيف حافظ الكادر على ادامة العمل في المحطة بعد سقوط النظام في بناية المشروع القديمة التي تعرضت إلى القصف ايام دخول القوات الاميركية لان ازلام النظام السابق قاموا بوضع اسلحتهم فوق سطح قاعة المضخات،رغم توسلات الكادر بمنع ذلك، فكانت النتيجة ان سقطت قذيفة فوق سطح القاعة، وقذيفتان اخريان داخل الحوض. وأشار إلى قيام إحدى المنظمات الإنسانية والتي كان يشرف عليها عراقي مغترب من أهالي الناصرية بتقديم مساعدات مهمة لهم ساعدت في اعادة الحياة إلى المشروع في تلك الظروف الحرجة، تذكر رواتبهم الضئيلة التي كانوا يتقاضونها في زمن النظام السابق. ورغم انه كان مديراً فنيا للمشروع الا انه كان يتقاضى ٢٥٠٠ دينار وكيف انه استعمل مرة فانيلته الداخلية لتكون بديلا من (البكن) في المضخة.وهذا الجزء من المضخة هو المسؤول عن وقف التسرب الهوائي في المضخة.

المبنى المتهالك

ارتقى المدير سلما معدنياً قصيرا يمتد على أنابيب غطاها الصدأ ووقف امام سطح الحوض الابتدائي وهو يشرح اهمية ووظيفة كل جزء، بينما الماء ينهمر من فتحة الأنبوب القديم إلى الحوض الأولي ثم الثانوي الذي امتد جسر فوقه،. واشار المدير إلى انه بعد مرور مرحلة الترسيب الاولي يصل الماء إلى حوض التجميع ومن هناك يمر عبر مضخات الدفع التي تزرق الماء على الفلاتر.نادى المدير على احد معاونيه ليبادر بوقف مضخة صغيرة للماء اخذ الماء الزائد ينزل بسببها على احد الأنابيب. بعدها توجه السيد كمال إلى قاعة المضخات، حيث امتدت أربع دوائر بيض داخلها، مشيرا إلى انها مضخات، اثنتان في حالة التشغيل والاخريان هما للمساعدة وان طاقة كل منهما تصل إلى نحو ٢٠٠ متر مكعب في الساعة.

مديرية الماء

في مديرية ماء ذي قار تحدث السيد رحيم كريم محمد مسؤول قسم التعقيم عن نسبة الملوحة العالية في نهر الفرات وعن العيون المالحة التي يمر بها والتي تمنع استعماله كماء للشرب، وعن الصعوبات التي يواجهونها في عملهم، كالتهديدات التي يتعرض لها العاملون احيانا من قبل الاهالي الذين يحاولون التحكم بحركة الماء إلى مناطقهم التي تعاني العطش، وعن موجات الغرين التي لا يستطيعون وقفها والتي تستمر احيانا عدة ايام فيضطر الاهالي إلى استعمال خزانات ماء اضافية لخزن الماء مسبقا.

اهال وامنيات

في مشروع اسالة الناصرية تجول المدير في قاعة المضخات، على الباب كان هنالك قنينتان كبيرتان للكلور، اكد المدير ان المخزن الرئيس لهم يقع على طريق منطقة تل لحم – على بعد عشرات الكيلو مترات-لأنهم يخشون من عملية التسرب وكيف ان القنينة الواحدة تعمل من ٢٠ إلى ٣٠ يوما. قرب الباب وضع جهاز الكلور الوحيد،المسؤول عن صحة الآلاف من المواطنين! يسجل عداده نسبة الاثنين والنصف وهي المطلوبة للتعقيم مقارنة مع كمية الماء المنتج، واكد المدير انهم طلبوا جهازا أخر ولكنه لم يصل بعد، قال " لدينا أمنيات كثيرة أهمها أنتاج ماء افضل حتى نرضى عن أنفسنا ويرضى عنا المواطنون ونحن لا نزال مثلهم ننتظر"

الواقع الصحي يكشف عن:

-ألف سرير لمليون وثماني مئة ألف مواطن وشحة كبيرة في عدد الأطباء والأجهزة الفنية والأدوية

-من مجموع ٥١ سيارة إسعاف ٧ منها خارج الخدمة و١١ عاطلة عن العمل والوزارة تعد بالتعويض

انتشرت الأمهات المتلفعات بالسواد في كل زوايا تلك الردهة الصغيرة في قسم الأطفال الجديد في مستشفى الحبوبي في الناصرية وهن يحملن أطفالهن بأوضاع مختلفة ، ، أصوات الأطفال تتقاطع احيانا مع اصوات الامهات ،ورائحة التعقيم تصل اليك من بعيد ، بعض الامهات جلسن مع اطفالهن على اسرة اشترك فيها اكثر من طفل ، قسم اخر من الامهات جلسن مضطرات على بلاط الردهة الابيض ، بعض الممرات الضيقة تشكل عائقا للمراجعات ، ام انزوت جانبا بينما طفلها الذي لم يبلغ العام من عمره يتقيأ بصمت ، أم أخرى تحاول إرضاع طفلها وقد غطت صدرها بعباءتها السوداء ، ام صغيرة جاءت مع عمتها التي تؤنبها دائما ، خارج الردهة الممرات ضيقة ،

اما خارج المستشفى فالغبار والحر بدأ بالتصاعد بشكل يتناقض مع جو المكيفات الجديدة في ردهات القسم الجديد، قبل دخولك إلى المستشفى يسقط نظرك على تجمع لعدد كبير من النساء قرب البيوت المجاورة للمستشفى- مراجعات او زائرات- وهن مستغلات الظل والفيء الذي كون تفاعلاً ذلك الصباح مع جدران المنازل القريبة.

قسم الاطفال

الدخول إلى قسم الشهيد محمد الموسوي ليس سهلا مع عدد الأمهات اللائي يدخلن اليه، قسم علاج الاطفال المتخصص هو ابرز قسم لمعالجة الاطفال وهو الوحيد في ذي قار، سابقا كان مستغلا كإعدادية للتمريض تم تأهيلها بعد الحريق الذي تعرض له مستشفى الناصرية العام.اكد الطبيب رزاق الربيعي الطبيب المتخصص بعلاج الأطفال ورئيس القسم فيه انهم يقدمون خدماتهم إلى نحو ٣٠٠ طفل يوميا يدخلون للعلاج، وان قسمه يتعامل مع الأطفال القادمين من كل الاقضية والنواحي في محافظة ذي قار. فاحيانا تحال اليهم حالات أمراض الحمى السوداء وأمراض السحايا ونخاع العظم او الحبل الشوكي لانها تحتاج إلى تحليل يوفره القسم. وأشار إلى ان بعض الحالات ترسل اما إلى بغداد او إلى البصرة لعدم وجود اختصاص لعلاجها مثل الأمراض التي تحتاج إلى تداخل جراحي أو في حالات جراحة الجملة العصبية او استسقاء الدماغ.

الاطفال والجفاف

وأضاف الطبيب رزاق الربيعي ان اغلب الأمراض التي يصاب بها الأطفال تتراوح بين حالات الإسهال الناتج عن الماء غير الصالح للشرب وكذلك الطعام أحيانا قال " ان نحو ٧٠٪ من الأطفال مصابون بالإسهال ولو كانت الوقاية الصحية جيدة لانخفض العدد إلى ٢٠٪".وأكد الدكتور رزاق ان كثيراً من المواطنين مازالوا يشربون المياه من الأنهار دون تعقيم بل ان مركز المدينة نفسه يعاني رداءة ماء الشرب قال " املأ قدح ماء وانتظر برهة من الوقت سوف تجد الطين يترسب في القاع" وأضاف " انظر إلى الرضاعة التي تعملها الام في مناطق العشائر سوف ترى لونها داكنا لا اثر فيه لبياض الحليب هكذا هو الحال مع سكان اربع وعشرين ساعة ثم يبدأ البحث عن السبب والذي قد يكون طفيليا او بكتيريا او فيروسيا اما الحالات المتقدمة من الاسهال والتي يصاحبها تسمم دم جرثومي فتحتاج إلى جدول مختلف وزيادة في كمية المغذي المتنوع. اشار الطبيب إلى ان اغلب الاطفال المصابين هم دون العام. اقترب من ام وضعت طفلتها الهزيلة على السرير،قالت الام بانها تسكن شارع ٣٠ في مركز المدينة، ام محمد رفضت ان تذكر اسمها، طفلتها مصابة بإسهال والتهاب في المجاري. ام تجلس على الارضية تحتضن طفلة عمرها ستة اشهر دخلت بها منذ ليلة البارحة، اقتربت منها الطبيبة هيفاء مهند وهي الطبيبة المسؤولة عن هذه الردهة قالت بان عدد الأسرة في القسم يبلغ٩٠ سريرا، وأكدت ان اغلب الامراض التي تواجهها هي أمراض الجهاز التنفسي والإسهال والحمى السوداء.

قسم الإحصاء

تحدث الموظف العجوز المسؤول عن الإحصاء عن أهميته مؤكدا إن أكثر الأمراض انتشارا في ذي قار هي التيفؤيد والإسهال وأمراض الجهاز التنفسي موردا قائمة طويلة عن عدد المستشفيات وعن الكادر الطبي الذي يصل إلى ٣١٥٠ وعن ٧ مستشفيات في كل أنحاء المحافظة" تصل نسبة وفيات الأطفال إلى ٤٠ ٪ من عدد الوفيات بشكل عام، اكثرها متعلقة بالأطفال الخدج" مؤكدا ان هنالك نحو ٦٠ طفلاً يتوفى كل شهر واحتلت أمراض الأجهزة التنفسية النصيب الأكبر ثم تلاها أمراض الإسهال.

المدير العام

في غرفة المدير العام لصحة ذي قار الواسعة تحدث الدكتور الصيدلاني هادي بدر ألرياحي عن إمكانيات القطاع الصحي في محافظة ذي قار مؤكدا وجود اقل من (ألف) سرير لمليون وثماني مئة ألف مواطن، قال" المفروض إن لا يقل عدد الأسرة عن أربعة آلاف سرير" واكد ان تلك النسبة لاتشمل المهجرين الذين نزحوا إلى المحافظة مشيرا إلى إنهم يغطون حاجياتهم من الادوية واللقاحات والخدمات الطبية. روى حادثة احتراق مستشفى الناصرية العام وتعرض العديد من الطوابق إلى أضرار كبيرة، وكيف وضع المستشفى الواقع في جهة الشامية تحت التأهيل من قبل شركة الاقضية والنواحي"

امهات وأبناء

جلست ام الطفل علي احمد على السرير واجمة وهي تحدث الطبيب بإنها من سكنة منطقة الإسكان الصناعي التي – تبعد عن المركز بعض الكيلومترات- وكيف تعاني المنطقة رداءة الماء المنتج، وهي تؤكد انها تغلي الماء وتصفيه قبل ان تعمل الرضاعة إلى طفلها، قال الطبيب الذي بدا انه يشك في كلامها " هذه حالته وأنت تغلين الماء فكيف ستكون حالته من دون تعقيم الماء"، ثم انشغل الطبيب بالحديث مع زميل له حول مقولة حليب الام الخفيف او الثخين مشيرا إلى انها مقولة غير حقيقية. بينما حدث نشاط لدى الامهات باقتراب الكادر الطبي وهن ينتظرن ما سوف يقوله الاطباء والطبيبات، وانخفضت الضوضاء التي يعملنها إلى حد ما.

الاسهال والجفاف

ذكر الطبيب رزاق ان كثيرا من الأطفال يصلون إلى المستشفى وهم في حالة اولية من الجفاف او الإسهال وهؤلاء يسهل علاجهم بالمغذي ليعوضوا عن السوائل التي فقدوها فيوضع لهم جدول خلال (بارسن) الاميركية والتي أوقفت العمل لتشرف عليه شركة(ركن الزوراء) ومازال العمل جاريا لإعادة تأهيل مستشفى الناصرية العام قال الدكتور هادي " هنالك شحة كبيرة في عدد الأطباء والملاكات الطبية وكذلك شحة في الأجهزة الطبية "

المواقع المؤهلة

أشار الدكتور هادي إلى تأهيل مستشفى إعدادية التمريض - في جهة الجزيرة- لتكون قسما للأطفال وتم افتتاحه قبل أسبوعين وهو ضمن حدود مستشفى الحبوبي- مستشفى الجراحي سابقا- وقاموا بتأهيل القسم الجراحي في جهة الشامية ليكون بسعة ٤٠ سريرا، وتجهيز صالة ولادة وردهة للطوارىء النسائية بسعة١٦ سريراً، وتأهيل المستشفى الرفاعي بسعة اضافية ٥٠ سريراً، وبدا العمل في تهيئة مخازن للأدوية لعدم وجود مخازن لها في الوقت الحاضر.

شحةأخرى

أعلن مدير الاسعاف السيد حسن طالب شدود عن وجود ٥١ سيارة اسعاف فقط في محافظة ذي قار مؤكدا ان وزارة الصحة وضعت نسبة محددة لعدد السيارات بالنسبة إلى المواطنين وهي سيارة واحدة لكل عشرين الف نسمة قائلا" هنالك ٧ سيارات لا تصلح تماما و١١ سيارة عاطلة من هذه الواحدة والخمسين ليكون العدد الصالح للعمل هو ٣٣ سيارة فقط" واضاف قائلا " لقد وعدت وزارة الصحة بمنحنا ٣٢ سيارة اسعاف ونحن نتأمل ان نحصل عليها قريبا"

نظرة أخيرة

وأنت تخرج من القسم المزدحم بالأمهات والأطفال في ذلك القسم الجديد، قبل الذهاب يسقط نظرك على غرفة المراجعة التي لم يستطع الطبيب فيها ان يتحدث لان طابورا طويلا من الأمهات والأطفال ينتظره. تخرج من قسم الأطفال فيواجهك قسم الولادة الذي يقع على بعد عدة أمتار، وغير بعيد عنه انتصبت بناية أخرى يجري تأهيلها لتكون قسما طبيا آخر، خارج المستشفى غادرت المراجعات اماكنهن قرب المنازل القريبة من مستشفى الحبوبي بعد ان مللن الجلوس تحت الفيء الذي انخفض مع ازدياد حرارة الشمس وتزايد الغبار في الأجواء.